الإسلام والحوار الحضاري

أ. د. سهير عبد العزيز محمد يوسف: عميدة كلية الدراسات الإنسانية في الأزهر الشريف

مقدمة حول أهمية الموضوع:

إن دراسة مضامين الدعاية المضادة للإسلام والمسلمين والرد عليها يُعد واجباً دينياً يضعنا في موضع التأسي برسول اللّه ﷺ، فلقد كان من أهداف الاتصال عند رسول اللّه إزالة الانطباعات الخاطئة وتصحيح سوء الفهم حيث كان يحدث أحياناً أن يفهم البعض أموراً على غير ما قصد الرسول، أو ربما يدرك البعض أمراً ما إدراكاً لا يستقيم مع روح الإسلام ومبادئه، وعندها كان يسارع النبي ﷺ إلى توضيح ما استعصى على الناس فهمه وما خفي عليهم أمره.

وليس أدل على اهتمام النبي ﷺ بهذا الرأي العام المعارض من أنه استمع لقصائدهم وبحث معانيها ودرس أغراضها وأهدافها ثم ترجم هذه الدراسة إلى ضرورة مواجهة هذا التأثير وإبطال مفعوله، فأذن لشعرائه المجيدين: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد اللّه بن رواحة بالاتصال بالرأي العام من خلال قصائدهم.

ومن هنا يمكن القول أن دراسة ملامح الصورة وتغيير السلبية إلى أخرى إيجابية وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام إنما يدخل في باب الدعوة للإسلام وحسن تقديمه إلى الآخرين.

فالمسلمون كأمة ودول وشعوب وجماعات وأفراد يرتبطون مع المجتمعات الغربية وغيرها من المجتمعات بمصالح وعلاقات، وتتأثر عملية صناعة القرار لدى الدوائر الأخرى تجاه المجتمعات الإسلامية بتلك الصورة التي تقدمها وسائل إعلامهم. وقد أشارت دراسة علمية إلى أن عدداً كبيراً من صناع القرار لا يستجيبون للحقائق الموضوعية للمواقف بقدر ما يخضعون لتأثير ما لديهم من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للاستشارات
www.manaraa.com

صور عن أنفسهم وعن العالم الذي يتعاملون معه. فالصورة هي الإطار النفسي العام لاتخاذ القرارات، أو هي البيئة النفسية التي تتم فيها عملية صنع القرارات، كما أن صورة الدولة أو مجموعة الدول التي تجمعها مجموعة من الخصائص تؤثر هي الأخرى على سلوك المجتمع نحو هذه الدولة أو تلك الدول.

وعلى ضوء ذلك يمكن القول أن تقديم الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين إلى المجتمعات الأخرى يعد عاملاً مساعداً على صياغة قرارات الصفوة السياسية في هذه المجتمعات على نحو يراعي مصالح المسلمين[(١)].

صورة الإسلام والمسلمين بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١:

صورة اليوم امتداد لصورة الأمس:

واجه الإسلام ـ منذ بداياته الأولى ـ خصومة شديدة. وقد استخدم خصوم الإسلام أسلحة شتى كان من بينها تشويه الصورة. وكانت شخصية النبي ﷺ هدفاً صوب إليه هذا السلاح. فقد أشاع خصوم الإسلام عن النبي أوصافاً غير مقبولة فنعتوه بالكاهن والشاعر للإيهام بأن هذا القرآن ليس من عند اللّه وإنما أبتدعه محمد ﷺ وقد رد القرآن الكريم نافياً هذه الأوصاف عن النبي ﷺ.

ومن خلال سلاح الدعاية حاول الكفار تشويه صاحب الفكرة وتشويه الفكرة ذاتها وآثاروا خوف القبائل العربية من هذا الدين الجديد الذي سيقلب حياتهم رأساً على عقب.

وإذا كان اغتيال أي إنجاز إسلامي والسخرية منه وتشويهه أحد أساليب خصوم الإسلام فيما مضى فلا يزال الإعلام الغربي يسير على ذات الوتيرة،

---

(١) محمود يوسف: بحوث الصورة الذهنية للمسلمين في الإعلام الغربي، المجلة المصرية لبحوث الإعلام ـ كلية الإعلام ـ جامعة القاهرة ـ العدد الثاني عشر ـ يوليو ـ سبتمبر ٢٠٠١م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالعربي هو الذي يبدأ غيره بالعدوان ولا بد أن ينتهي الأمر عند المواجهة بهزيمة العربي وفشله[1].

وبعد أحداث سبتمبر تحمل المسلمون تبعات ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية والتي مارست الضغوط الدبلوماسية الضخمة على معظم الدول الإسلامية، بخاصة الدول العربية لإكراههم على التعاون في الحرب على ما يسمى بالإرهاب بمفهوم الغرب وقد أحاطت الشكوك والريبة بالمسلمين حيثما ذهبوا، ليس فقط الولايات المتحدة، لكن في كل أنحاء العالم. وقد صاحب ذلك تنامي قوة المجموعات التي تساند إسرائيل، مع الصهاينة المسيحيين والمحافظين الجدد الذين باتوا يجهرون بالطموحات الإمبريالية علانية، وقد تضاعفت إعداد الهجمات السياسية ضد الإسلام والمسلمين، بينما تتضاءل الفرص أمام كل من يحاول شرح وضع المسلم والعربي إلى الرأي العام الأمريكي وفي الوقت الذي تتاح فترة البث الإعلامي بفاعلية لهؤلاء الذين يتعاطفون مع الأفكار المضادة للإسلام وهؤلاء الذين يربطون الإرهاب بالإسلام، توصد الأبواب في وجه كل من يدافع عن الإسلام والمسلمين[2].

وقد نتج عن ذلك تشويه صورة الإسلام في عيون الشعوب الغربية بشكل خطير إلى درجة تصوير المدارس الدينية في العالم الإسلامي كمراكز تدريب يتخرج منها الإرهابيون فقط.

الغرب ونظرية المؤامرة [كيف نفسر الواقع]:

يجب أن نحدد بدقة من هؤلاء الذين نعتهم بأنهم يكنون ويحملون ويختزنون لنا شعور الكراهية؟ ولا يكفي أن نقول أنه أو أنهم (الغرب) تعميماً، ذلك أن

---

(١) المرجع السابق.

(٢) حسن حنفي: الإسلام في الغرب، في: إلتقاء الحضارات في عالم متغير ـ حوار أم صراع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ـ جامعة القاهرة ـ ٢٠٠٣م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغرب أمم وشعوب وملل ونحل أحياناً ما يفرق بين بعضها أكثر مما يجمعها، وإلى عهد قريب دارات بينها الحروب الشعواء، فهل أصبح هؤلاء ـ على الرغم مما بينهم ـ يجتمعون ويجمعون على كراهيتنا؟ وحتى لو قلنا أننا نتحدث عن «الاتجاه السائد» لدى الأغلبية العديدة، فإن قدراً من التخصيص قد يفي، لأن كل تعميم خطأ، فحين نقول (الغرب) قاصدين أوروبا وأمريكا الشمالية، فإن الأولى فيها شرق وغرب ووسط، وفيها شمال وجنوب، وأبناء الشمال يندر إلى وقت قريب أن يرى الواحد منهم عربياً أو يقرأ عن الإسلام، طوال حياته وبجانب هؤلاء، هناك أوروبيو البحر المتوسط: الطليان، اليونان، الأسبان، وبعض أهل البلقان والفرنسيون. والجميع أكثر اتصالاً بنا، وأكثر احتكاكاً ومعرفة، ومنهم بعض أوروبي الاستعمار والاحتلال والغزو الذي اكتوينا بنيرانهم بشكل مباشر وهناك دول أوربية لها في الاستعمار صيت وتاريخ، ولكنها لم تحتك بنا كثيراً مثل الهولنديين، التحديد والتخصيص هنا مطلوب ومفيد.

وهل يمكن تفسير الموقف الراهن باعتباره تعبيراً عن كراهية وعداء متأصلين ضد الإسلام والمسلمين؟ أم أن هناك تفسيرات وأسباباً أكثر عمقاً لتفسير ما يجري على الساحة الدولية؟

إن الشواهد التاريخية فيها ما يؤكد على الكراهية المتأصلة بين الغرب والإسلام والتآمر ضد المسلمين، نجده واضحاً مؤكداً في حقائق التاريخ حيث الحروب الصليبية والقضاء على الامبراطورية العثمانية، والغاء الخلافة ونهب الثروات الاقتصادية فترة المد الامبريالي تلك الشواهد تستدعي دائماً لتأكيد مقولة العداء الغربي المتأصل للإسلام والمسلمين لكن مقولة العداء الأصيل تلك لا تشرح لنا علاقة (الصداقة) بين (الغرب) وكثير من الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي خصوصاً تلك التي تعتبر نفسها ويعتبرها الكثيرون في الغرب والشرق على السواء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنظمة (إسلامية)، والتحالف الائتلافي الأمريكي للقضاء على الشيوعية، وهذا التحالف هو الذي سمح للإرهاب بتكوين (قاعدته) في أفغانستان، وذلك حين لم تمانع كل الأنظمة السياسية من السماح للمجاهدين ـ الارهابيين محيلاً ـ بالسفر إلى أفغانستان.

في جذور الفلسفة الأمريكية يمكن أن نلتمس أسباباً لهذا الحرص على نصب عدو ما يكون جاهزاً حين تتعرض الأمة الأمريكية ـ الناشئة التكوين والهشة التاريخ والقابلة للتشرزم ـ لخطر ما حقيقي أو همي. أن نمط التفكير الأمريكي مبني معرفياً على أساس الفلسفة البراجماتية، وهي فلسفة تركز على مدى (الفائدة) العلمية المباشرة للأفكار، فالفكرة تكون (صحيحة) إذا كانت فقط (نافعة)، وتكون على العكس (زائفة) إذا لم يكن لها مردود نفعي مباشر، وهي فلسفة تبالغ في ربط مفهوم (الحقيقة) ربطاً مباشراً بالفائدة العملية أو (تحقيق المنفعة)[1].

ولما كانت فكرة أن (الإسلام عدو) فكرة نافعة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وزوال خطر التحدي الشيوعي سياسياً وعسكرياً وايديولوجياً، فقد أصبحت الفكرة (حقيقة) بقدر ما تحققه من نفع. أما لماذا يحتاج الواقع الأمريكي إلى (عدو)؟ فهذا سؤال آخر يجد إجابته في التكوين التاريخ لهذا المزيج المعقد من الجماعات والمصالح والصراعات.

لذلك أصبح الإسلام في حصار يشمل كل ما هو إسلامي، ويتهم كل ما هو إسلامي، ويدمر ويسارع أعداء الإسلام لقتل وإبادة المسلمين وتدمير بلادهم ونهب ثرواتهم، والأحداث أمامنا خير دليل، والشواهد من أفعال وأقوال حكام

---

(١) سهير عبد العزيز: الإسلام والحوار الحضاري، أين نحن اليوم في عالم متغير، المؤتمر السنوي لكلية الشريعة، جامعة الأمير عبد القادر ـ الجزائر، مايو ٢٠٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغرب بقيادة القطب الأوحد تؤكد هذا العداء، الذي ظهر جلياً في الآونة الأخيرة وكشف عن نفسه في أفغانستان وفي فلسطين.. وأخيراً في العراق. إن الغرب بامتلاكه القوة، أصبح ينظر نظرة هيمنة واستعلاء، ويرى أن جميع الأيديولوجيات لا وجود لها، لأنه لا يرى إلا نفسه، ولا يعمل إلا لمصلحته، وعلى حساب الآخرين وخاصة المسلمين، وهو يسعى لفرض ثقافته على العالم، وبالتالي فهو يسعى لهدم قواعد عقيدتنا حتى تتجاوب مع مبادئه العلمانية، ووسيلته في ذلك التدخل في شؤون المجتمعات الإسلامية تارة بالتهديد والوعيد، وأخرى بالحروب واتهام المسلمين بالعنف والإرهاب.

الأصولية ونموذج البنتاجون:

وقد نشرت دراسات كثيرة تناقش السياسيات والاستراتيجيات الأمريكية المستقبلية، منها أعمال ندوة عقدها سلاح الجو الأمريكي، وشارك فيها عدد من الخبراء والباحثين، منهم الخبير السابق في المخابرات الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط «غراهام فولر».

وتناقش الندوة عنصراً مهماً في صياغة سياسات أمريكا وهو مكافحة «الأصولية الإسلامية»، إذ لا تخفي التحليلات الأمريكية تخوفها الهستيري من هذه «الأصولية» التي ترى فيها مبرراً مقنعاً لدعم الدكتاتوريات في العالم الإسلامي، ولو أدى هذا إلى حرمان الحركات الإسلامية من فرصة العمل السلمي والعلني المشاركة في التنافس الانتخابي، أو التضحية بالديمقراطية وحقوق الإنسان المزعومة.

وفي تقدير «فولر» وهو من السياسيين المعتدلين أن مستقبل السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط فيها تأييد أو تدابير مواجهة «الأصولية الإسلامية» ولا يجد ما يدعو لتوضيح هذه المخاطر والمخاوف على العملية السلمية والمصالح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمريكية المرافقة للحرية المتاحة للأصولية، ويبذل جهداً كبيراً في التنظير للسياسة الأمريكية ولحكومات الشرق الأوسط لنزع الإعجاب والتأييد الجماهيري الذي تحظى به الحركة الإسلامية دون ملاحظة وجه المنطق الجماهيري والشعبي الذي يقف وراء التأييد الشعبي الكبير للحركات الإسلامية.

تحتاج حكومات الدول العربية والإسلامية كما يقترح «فولر» ـــ إلى تحسينات كثيرة على تكتيكاتها لتجعل أنظمتها السياسة أكثر انفتاحاً وأكثر تقبلاً للنقد حتى لا يستفيد الإسلاميون من تدهور الموقف. ومن المهم ألا تكون هذه الإصلاحات السياسة جوهرية لأنها ستكون لصالح الحركات الإسلامية، وتلك هي المعضلة التي تقلق الأمريكيين وهم يفكرون لأصدقائهم إذ كيف يمكن تحقيق قدر معقول من الرضا والاستقرار والديمقراطية مع استبعاد الإسلاميين من منظومة الحياة السياسية.

تتعامل الولايات المتحدة مع منطقة غير مستقرة وفق التحليل الأمريكي، ولكنها لا تريد أو لا تستطيع - كما يرى فولر ــ أن تفعل شيئاً لوقف التدهور ومعالجة الوضع المتأزم في العراق والجزائر وتركيا واليمن والصومال، ويبدو أن هذا الوضع هو الأفضل للمصالح الأمريكية.

ومنذ نهاية الحرب الباردة طبقت الولايات المتحدة قواعد محددة في السياسة الدولية كلما تعذر تحقيق خططها الجيواستراتيجية والجيواقتصادية وغيرها من المخطط، وذلك من خلال العمل عبر وسائل متعددة كاستخدام الأمم المتحدة أو عبر التحالف الدولي، وأدى سعي الإدارة الأمريكية في النيل من الإرهاب إلى تكريس مبدأ «الكيل بمكيالين» في إقامة السياسة الدولية وطالبت الحكومات العربية بالانضمام إلى التحالف لمكافحة الإرهاب لإثبات براءة هذه الحكومات من التهمة الموجهة إليها ومن جهة أخرى إنها تعمل على تحويل مساهمة بعض الدول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتوفير الأمن للأمريكيين إلى فرصة لجني مكاسب اقتصادية وسياسية. إن مثل هذا المبدأ الذي تتعامل به الإدارة الأمريكية يعمل على زيادة أسباب التوتر في العلاقات الدولية وذلك لأنه يربط الاستقرار الاجتماعي والسياسي في الدول الإسلامية والعربية بمدى خضوعها لمتطلبات الإدارة الأمريكية وباستخدام الرئيس «بوش» اصطلاح «حملة صليبية» خلال وصف الحرب الأمريكية ضد ما تعتبره إرهاباً أعاد إلى أذهان الأجيال الجديدة بالدول الإسلامية والعربية التسلسل التاريخي للعلاقات العربية الأمريكية، فمنذ أن اعتمدت السياسة الأمريكية دبلوماسية البوارج الأمريكية ضد بلدان الخليج العربي أصبحت هذه العلاقات تتشكل دولياً دوماً تحت وطأة الصراع المسلح، فالصيحات التي يطلقها «صقور» الإدارة الأمريكية لشن الحرب تعني أن «النخبة الأمريكية تسعى جادةً لابقاء التسلسل التاريخي للعلاقات بين الولايات المتحدة وبين هذه الدول ضمن «صدام المصالح» وكانت الاتهامات الأمريكية القائلة بوجود علاقات وثيقة بين النخبة الدينية والاقتصادية في السعودية مثلاً وبين الجماعات الأصولية التي تنشأ في الخارج سبب توتر علاقات بين السعودية والولايات المتحدة وقد تزايدت هذه الانتقادات منذ أحداث سبتمبر في وسائل الإعلام حيث الشعور السائد لدى الأمريكيين بأن حليفتهم السعودية قد خذلتهم وواشنطن عند إعلانها أن خمسة عشر من المتهمين بتنفيذ الهجمات هم من السعوديين تعمدت أن تعطي انطباعاً أن السعودية مسؤولة بوجه ما عما حدث مما أدى إلى انتقادات وضغوط على السعودية أصبحت هدفاً للاتهامات، وذلك على الرغم من أن السعودية أكدت منذ وقوع الحادث بأنها تقف مع «محاربة الإرهاب» في سبيل تبديد ما تتهم به إلا أن هذه الاجراءات لم تؤد إلى نتائج إيجابية، فقد شنت وسائل الإعلام الأمريكية حملة واسعة ضد السعودية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي محاولة من السعودية لدحض الاتهامات الأمريكية اختارت السعودية صحيفة نيويورك تايمز للإعلان عن «مبادرة» ولي العهد السعودي للسلام في الشرق الأوسط بهدف التنفيس عن مأزق الاتهامات باحتضان الإرهاب، كما أنها لجأت إلى مخاطبة الرأي العام الأمريكي من خلال حملة «علاقات عامة» اختارت لتنفيذها أكبر المؤسسات الأمريكية المتخصصة في محاولة منها لاستعادة الثقة، إلا أن الكثيرين يرون أن مثل هذه المبادرة لا يمكن أن تعيد العلاقات لسابق عهدها حيث أن السعودية اتجهت قبل سبتمبر إلى التقارب مع إيران التي تصنفها واشنطن ضمن «محور الشر»، إضافة إلى التعاطف السعودي مع العراق. وفي استطلاع أجرته صحيفة واشنطن بوست وشبكة ABC حول اعتبار السعودية حليف أم عدو؟ أجاب ١٠٪ بأنها حليف، واعتبر ١٤٪ السعودية عدواً، بينما صنف ٤٪ السعودية كصديق لا يرقى إلى درجة حليف[١].

دور الإعلام الصهيوني في تصعيد الخلافات:

استغل الإعلام الصهيوني أحداث سبتمبر لتنفيذ حملة مستخدماً وسائل الإعلام الأمريكية التي تسيطر عليها الدوائر الصهيونية، وعلى مدى شهور كان للإعلام الصهيوني عدة اتجاهات، حيث تمثل الاتجاه الأول تصوير العرب كإرهابيين وقتلة، وإن ما حدث في أمريكا ليس إلا من فعل العرب المسلمين الحاقدين على الحرية والديمقراطية. وفي الاتجاه الثاني يكرس الإعلام نفسه لدفع الإدارة الأمريكية والشعب الأمريكي لشن حرب مدمرة على كافة الدول التي تأوي الإرهابيين على حد زعمهم، مستغلاً بذلك الوضع النفسي الأمريكي. وفي الاتجاه الثالث ربط الإعلام الصهيوني ماحدث في أمريكا بما يجري في فلسطين،

(١) فريد هاليداي: ترجمة عبد الإله النعيمي، ساعتان هزتا العالم: ١١ أيلول ـ الأسباب والنتائج، دار الساقي، بيروت ٢٠٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحاول بشتى السبل إظهار الفلسطينيين إرهابيين وقتلة. وفي الاتجاه الرابع ربط الإعلام الصهيوني الصهاينة بأنهم أكثر حرصاً على مشاركة أمريكا عسكرياً في الحملة العسكرية ضد أفغانستان، وكان يقصد من ذلك إطلاق الحرية الكاملة للكيان الصهيوني لتنفيذ أكبر عملية تصفية للفلسطينيين ولتنفيذ بعض الضربات القاسية على لبنان والدول العربية، وفي دراسة أجريت خلال يومي ٢٦، ٢٧ أكتوبر ٢٠٠١ اشترك فيها عشرون طالباً من طلاب برامج فولبرايت مع عدد مماثل من طلاب جامعة ماريلاند، أبدى عدد من الطلاب الأمريكيين أن انطباعاتهم الأولى عن العرب أوجدتها وسائل الإعلام وأفلام هوليود ولقطات أخبار التلفزيون والاحتجاجات العادية لأمريكا، كما أبدى الطلاب العرب أن انطباعاتهم عن الأمريكيين كانت هي أيضاً من وسائل الإعلام.

حالات من التعاون والقبول:

تبدى خريطة العالم الإسلامي الجديدة حالات من التعاون والقبول بين أمريكا والحركة الإسلامية كما في أفغانستان، حيث بدأت الولايات المتحدة في مرحلة مبكرة من الثمانينيات علاقة من التنسيق والدعم للحركة الإسلامية الأفغانية، وكانت الحرب الأمريكية على أفغانستان بعد أحداث سبتمبر / أيلول بالتنسيق والتعاون مع تحالف الشمال القائم على الحركة الإسلامية الأفغانية والأقرب إلى جماعة الإخوان المسلمين بقيادة برهان الدين رباني وعبد رب الرسول سياف.

وفي تركيا واصلت الولايات المتحدة تنسيقها مع حزب العدالة والتنمية الإسلامي المشكل من حزب الرفاة بقيادة نجم الدين أربكان الذي لم يستطع مواصلة حكومته عام ١٩٩٧ بسبب العداء الذي أحاط بها من الداخل والخارج.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتغيرت العلاقة بين الولايات المتحدة والسودان الذي تحكم الحركة الإسلامية منذ عام ١٩٨٩ إلى حالة إيجابية من التعاون والتنسيق وتحاول واشنطن إنجاز إتفاق سلام ينهي الحرب بين الحكومة والمتمردين الذين كانت تقدم لهم التمويل والدعم لمواجهة الحكومة المعادية لها (وكل ذلك يصب في المصلحة الأمريكية)(١).

وتجلى ذلك في تشكيل مجلس الحكم الذي تشكل في العراق برعاية الولايات المتحدة بعد سقوط نظام الحكم بقيادة صدام حسين بضم عدداً من قادة الحركة الإسلامية السنية والشيعية التي تعضد سياسته وتتفق مصالحها مع مصالحه.

السياسة الأمريكية تجاه الحركة الإسلامية:

ما هي نظرة المسؤولين الأمريكيين ومؤسساتهم الاجتماعية إلى الحركة الإسلامية؟ هل يعتقد المسؤولون الأمريكيون بالفعل بالخطر الأخضر (الإسلام) الذي حل مكان الخطر الأحمر (الشيوعية)؟ هل يؤمنون بصدام الحضارات؟ هل يوجد إجماع لدى النخبة المشرفة على السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه الإسلام والحركة الإسلامية؟ هل هم مقتنعون بإمكانية المواءمة بين الإسلام والديمقراطية؟ هل تحرك السياسة الأمريكية نابع من ثقافة واتجاه فكري عدائي نحو الإسلام؟

إن التصريحات الرسمية المتكررة للمسؤولين الأمريكيين تبدي إحتراماً وتفهماً للإسلام ورفضاً لنظرية صدام الحضارات. ولكن من المؤكد أن الحرص المتكرر والمؤكد من الإدارات الأمريكية المتعاقبة على إظهار إحترام الإسلام يخفي عند الدراسة والبحث تقلبات وتوترات وإشكالات كثيرة تصوغ الموقف الأمريكي تجاه الحركة الإسلامية ويشكل موقف الولايات المتحدة من الإسلامي السياسي ثلاثة هموم، أولها أن واشنطن لا ترغب في الظهور معادية علناً وبوضوح

(١) إبراهيم غرايبه : www.alshabab.net/Cse-analysis/2003

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإسلاميين، والثاني أن أمريكا تتجنب دعماً علنياً لأية جماعة إسلامية وترتاب بشدة في توجهات الإسلاميين، والثالث أن النخبة الأمريكية تشكك بإمكانية التوافق بين الإسلام السياسي والديمقراطية، فالخطاب السياسي الأمريكي مشحون بالإشارات التي ترى الإسلاميين أعداء الديمقراطية، وتبدو مواقف عديدة رسمية أمريكية مختلفة عن التصريحات الليبرالية، فالإدارة الأمريكية تقف بصلابة إلى جانب أنظمة حكم علمانية تخوض معركة غير ديمقراطية مع الإسلاميين. وفي كتاب بعنوان «نهاية الشر ـ كيف نكسب الحرب ضد الإرهاب ـ» لمؤلفه ريتشارد بيرل وهو مستشار الإدارة الأمريكية في وزارة الدفاع، وهو من مؤيدي الحرب الوقائية والحرب ضد أفغانستان والعراق ومن محرضي الرئيس بوش ضد الدول العربية والإسلامية كرهاً للإسلام كدين، حيث نجد في الكتاب كيفية تدمير الشر عن طريق القوة والحرب ثم تغيير مناهج التعليم ووقف التعليم الديني وإغلاق المدارس الإسلامية في كل مكان وتفكيك المنظمات الإسلامية والتجمعات العربية وتغيير ميثاق الأمم المتحدة حتى لا يظل مقيداً لحركة أمريكا في شن الحروب(١).

وربما يكون استطلاع معهد جالوب أكثر هذه الاستطلاعات أهمية، فقد أجرى على النخب الأمريكية ممن يحتلون مناصب رفيعة في الإدارة والإعلام والجامعات وإدارة الأعمال، والذي أظهر أن معظم النخب الأمريكية يرون في الأصولية الإسلامية تهديداً للمصالح الأمريكية، وقد جاء «الخطر الإسلامي» في المرتبة الثالثة بين ثمانية تهديدات خطرة محتملة أوردتها الدراسة الاستطلاعية، وفي المقابل فإن مجموعة من المفكرين وقادة الرأي الأمريكان تطعن في القيمة التاريخية للخطاب السائد في الولايات المتحدة بشأن الإسلام السياسي، ويؤكدون على

(١) إبراهيم غرايبة: مرجع سابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

احتمال قيام الإسلاميين الجدد بدور سياسي بناء في إدخال الإصلاح والليبرالية إلى مجتمعاتهم مثل الدور الذي أداه دعاة الإصلاح البروتستانتين في أوروبا، ولا يمكن بالطبع إغفال الخطاب المعادي للغرب الذي تبرع به كثير من الإسلاميين وتقديم صورة مبالغة في الحرب والجهاد على المصالح الأمريكية والغربية، والنظرة إلى الغرب كحضارة إمبريالية معادية للإسلام ويبدو من الواضح أن السياسة والاعتبارات الأمنية الحديثة تفسر إستحواذ الحركة «الإسلامية» على تفكير الولايات المتحدة أكثر مما تفعله العوامل الثقافية أو التاريخية. وقد أثبتت استطلاعات الرأي تأرجحاً في المواقف تجاه الحركة الإسلامية تبعاً للانطباع والإدراك الحسي الذي تتركه أحداث خارجية وأمنية، وأن توافقاً في الخطابين الغربي والإسلامي يصف العلاقة بين الطرفين بأنها صدام ثقافات وحضارات ساهم في تعميق الإنطباع والثقافة العدائية، وفي سياق النظرة العدائية والدعوة للتصدي للظاهرة الإسلامية يأتي برنارد لويس وصموئيل هنتنجتون وآيموس بيرلموتر الذين يرون أن الثقافة الإسلامية بطبيعتها معادية للغرب والديمقراطية، وليس ثمة فرصة للتصالح مع الغرب المسيحي. ويتنبأ هنتجتون بأن الحرب العالمية القادمة تكون حرباً بين الحضارات[١].

ويعتقد دعاة التصدي للإسلام والذين يناصرهم عدد من مشرفي السياسية الخارجية الأمريكية بشبكية الحركات الأصولية التي تتخذ جميعها من إيران مقراً لها، وبإنطباق نظرية الدومينو عليها، أي أن حدوث نجاح أو نجاحين للحركات الأصولية سيؤدي إلى تضاعف ثوري متسارع يتخطى الحدود ويوحد المسلمين جميعاً في قوة سياسية إسلامية جامعة، يوصل الأمر عند جوناثان باريس إلى أن الأمة الإسلامية ستتحول إلى عدو جديد ليس للغرب فحسب وإنما لبقية الجنس البشري.

(١) محمد بن مختار الشنقيطي: الحركات الإسلامية وهجمات ١١ سبتمبر.. خلافات وخلفيات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سياق المصالحة والتراضي مع الإسلام هناك جون أسبو سيتو وليونتي هايدار وغيرهما ممن يرى أن الخطر الإسلامي خرافة متباعدة عن واقع التاريخ الإسلامي، ويشككون في ديمقراطية الحكومات في الدول العربية والإسلامية، ويفسرون الصحوة الإسلامية بتفاعلات إقتصادية وإجتماعية وتطلع الشعوب إلى الحرية السياسية.

ويوصي هؤلاء أمريكا بعدم معارضة تطبيق الشريعة الإسلامية، والنظر إلى الإسلاميين على أنهم يمثلون تحدياً لأمريكا وليس تهديداً، ويرى جون أنتيليس أن صعود الأصولية يوفر فرصاً لأمريكا لتحقيق مصالحها وخدمتها، وبخاصة إذا ما أبدت أمريكا تشجيعاً وتأييداً للديمقراطية في الدول العربية والإسلامية، ويجنب أمريكا البغضاء واستهدافها في أعمال إرهابية.

وفي مؤتمر عقده مؤخراً معهد واشنطن للسياسات تحدث كل من مدير منتدى الشرق الأوسط دانيال بايبس كبير الخبراء في مؤسسة رند للبحوث وغراهام فولر يقول دانيال بايبس، في معرض حديثه عن مواجهة القوة الإسلامية المتطرفة، أن الأمريكان عموماً ينقسمون في إجابتهم عن سؤال من هو العدو؟ إلى ثلاثة أقسام القسم الأول يجيب بأنهم «الإرهابيون» وهذا هو خيار الرئيس بوش وخيار مساعديه حيث تصر الإدارة الأمريكية على أنه لا علاقة بين الإسلام والإرهاب وهذا ما تعلنه فقط الإدارة الأمريكية، ويفترض أصحاب الرأي أن الإسلام دين سلام، وأن الربط بينه وبين الإرهاب إفساد لجوهر الدين الحق. الإجابة الثانية «المسلمون» وهي تفترض أن الإسلام هو العدو. وقد وجد هذا الخيار قبولاً لدى العديد من المتحدثين البارزين، وحاول العديد من الكتاب إثبات ذلك في كتابات ومناقشات مطولة. كما تزداد القناعة بهذا الخيار لدى المسيحيين الإنجيليين، والإجابة الثالثة وهي الأقرب إلى الصواب، تعتبر الإسلاميين المتطرفين هم العدو فالتطرف هو الأصل، وما الإرهاب إلا عرض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كانت المشكلة في جماعات العنف والتطرف فإن الحل يكمن لدى الحركات الإسلامية المعتدلة. ونقل الصراع حسب وجهة النظر هذه من كونه بين الولايات المتحدة والجماعات الإسلامية المتطرفة والمسلحة إلى أن يكون بين الحركات الإسلامية المعتدلة والمتطرفة.

ويرى بايبس أن الولايات المتحدة قد أخطأت عندما قبلت التعامل مع الحكام المستبدين، وعليها في المقابل أن تسارع إلى دعم التحول الديمقراطي في المنطقة. وإذا نجحت الحركات الإسلامية ـ وهذا هو المتوقع ـ فإنها ستكون مستعدة للتعاون والتنسيق مع الولايات المتحدة على أساس تبادل المصالح والمنافع وربما لن يكون الأمر مختلفاً كثيراً عن الوضع السابق سوى أن واشنطن ستجد غطاءاً ديمقراطياً لحماية مصالحها في المنطقة.

ويرى غراهام فولر أن الظاهرة الإسلامية ليست مثيلة للفاشية أو الشيوعية بل هي إطار ديني سياسي ثقافي تتناول هموم المسلمين وتطرح نفسها كبديل أكثر جاذبية للأيدولوجيات العربية التي شهدتها العقود الماضية والتي أخفقت في تحقيق مطالب شعوبها، كما يضيف «وليس للحركة الإسلامية» زعيم مركزي أو خطاب مركزي، ولا تتبنى موقفاً ثابتاً تجاه نظام الحكم أو الكيفية التي يدار به النشاط الاقتصادي فهي ليست عقيدة جامدة وهناك خلافات عميقة بين الإسلاميين حول كيفية نشر الإسلام أو الشكل الذي ينبغي أن تكون عليه الدولة. ورغم كون مسألة تطبيق الشريعة تلقى قبولاً واسعاً، إلا أنه هناك العديد من الصياغات المختلفة لكيفية تحقيق هذا المطلب، وبعض هذه الخيارات سطحي وخطير غير أن هناك بعض الخيارات أوسع أفقاً وأكثر تسامحاً كما يرى.

فالظاهرة الإسلامية وفق هذا التحليل هي نتاج للتوجه العالمي نحو التحديث والتعامل مع مشاكل ومتطلبات العالم الحديث، وهي جزء من الكفاح العالمي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتقديم تفسير للعالم الذي تحوطه المصاعب من خلال الدين، وهي جزء من محاولات الدفع لإستعادة كرامة العالم الإسلامي والمحافظة على هويته، والصراع والتوتر بين العالم الغربي والعالم الإسلامي ليس نتاجاً للتصادم بين الديانات، بل هو تعبير عن تعارض عميق في المصالح[1].

مستقبل العلاقة بين واشنطن والحركة الإسلامية:

إن صعود الحركات المتطرفة والإصلاح السياسي في العالم العربي والإسلامي هما تحديان أساسيان لواشنطن فاستراتيجيتها السابقة لحماية مصالحها وفرضها في المنطقة (بجانب عوامل أخرى) أدت إلى غياب الديمقراطية وتنامي العنف والتطرف، وإذا كانت تملك فرصة للتعاون مع الحركات الإسلامية المعتدلة والتي تملك الفرصة الأقوى للنجاح في إنتخابات ديمقراطية إن هذه الحركات أيضاً مهددة بالحالة الجديدة، وقد تتلاشى أو تضعف لحساب الجماعات المتطرفة والتي يبدو أنها بدأت تسحب البساط من تحت أقدام الجماعات الوسطية العريقة وسيكون الحل إما الاستمرار في الاستبداد والتوتر والصراع أو فتح المجال لموجات الإصلاح السياسي وإن حملت معها الحركة الإسلامية التي وإن كانت تبدو معادية لواشنطن فإنها ستخضع لاعتبارات المصلحة والواقع القائم، وهو ما يحدث الآن بالفعل في أفغانستان والعراق والسودان وتركيا.

ويمكن باختصار تقدير الخطاب الثقافي الأمريكي أو التابع له في مناطق العالم والذي لن يتاح لغيره بالعمل بالرموز التالية:

- علمانية تبدو لا تعادي الإسلام ولا الحضارات والثقافات غير الغربية.

---

(١) إبراهيم غرايبه: مرجع سابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ديمقراطية لا تتيح لغير العلمانيين وعملاء أمريكا الوصول إلى الحكم والتأثير والتوجيه.
- إغراق ثقافي يملأ الفضاء والأوقات والمؤسسات والفئات المستهدفة جميعها ويستوفى في الأشكال المختلفة من فن وسينما وإذاعة ومجلات وصحف ومؤتمرات وندوات ومحاضرات ومعارض وزيارات وضيافة ولا يدع مجالاً للتقويم والتساؤل وإلتقاط الأنفاس.
- إغداق مادي أدبي وجوائز وإغواء إعلامي وأضواء تقدم لفئة من النخب التابعة وحرمان وتجاهل ومطاردة وربما اغتيال وتصفية للآخرين.
- تشجيع الخارجين على الدين والثقافة الوطنية حتى لو كانوا جهلة صغاراً وربما يفعلون ذلك للحصول على دعم الغرب وتأييده.
- تشريعات وبرامج ثقافية وسياسية وإعلامية تفرض الثقافة الغربية وتحارب قيم الأسرة والتماسك والثقافة الوطنية، وتشجيع عادات وأنماط حياة وافدة مثل تحديد النسل وتنظيمه، والاختلاط وإباحة العلاقة بين الرجل والمرأة خارج إطار الزوجية، وإطلاق الحريات الفردية بلا حدود، والانفتاح الكامل على الثقافة والقيم الغربية.

سبتمبر وأوضاع المسلمين في أوروبا:

تحكمت وسائل الإعلام في رسم صورة الإسلام وأوضاع المسلمين في أذهان الكثيرين خاصةً بعد أحداث سبتمبر. أما عن المسلمين في أوروبا فقد قُدمت صورتان متباعدتان، صورة بالغت فوصفت الفترة التي تلت سبتمبر بأن المسلمين يعيشون في أزمة خانقة حيث الخوف وحوادث الاعتداءات العنصرية التي تعرضوا لها، أما الصورة الأخرى فكانت وردية مغرقة في التفاؤل جعلت من أحداث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبتمبر فاتحة خير على مسلمي أوروبا (عضدت كلامها ببيانات وأعداد غير موثقة) عن دخول الأوروبيين في دين اللّه أفواجاً وإقبال منقطع النظير عن الإسلام ـ هاتان الصورتان المتباعدتان هواجس تبحث عن طمأنينة عن الوجود الإسلامي في أوروبا خاصةً أن متابعة تطور الأحداث القادمة من هذه القارة كشفت عن توجه أوربي مقلق للمنظمات الإسلامية والوجود الإسلامي وقضية الحريات المدنية التي يستفيد منها المسلمون هناك في تدعيم وجودهم وبالتالي فإن أحداث العامين المنصرمين تحتاج إلى قراءة محايدة في إطار السياق العام بعيداً عن الآمال والخوف غير المبرر. وتكشف العلاقة بين أوروبا والإسلام عن وجود ارتياب أوروبي كامن عن الإسلام والمسلمين صنعته عوامل تاريخية متعددة ترجع بعض جذورها إلى الحروب الصليبية التي استمرت مئات السنين وإلى وجود شعور في العقلية الأوروبية بأن لها رسالة كونية وأنه يعتبر التحدي الرئيسي لها لعالمية رسالته كما أن المخيلة الأوروبية عن الإسلام صنعها الإعلام والأفلام والثقافة السائدة التي يقف خلف أغلبها الصهيونية، رؤية كامنة ترى الإسلام والمسلمين خطراً عمقتها مؤسسات إعلامية كبرى فشهد المسلمون في أوروبا معركة ضد الحجاب في أكثر دول أوروبا كذلك صعد اليمين المتطرف عداءه للمهاجرين خاصةً المسلمين منهم ودعواته المتطرفة إلى طرد هؤلاء المهاجرين وإصدار تشريعات للحد من هذه الهجرة الأوروبية. ولقد ظهر قصور واضح من هؤلاء المسلمين في تقديم الإسلام الصحيح للأوربيين، حيث انتقلت الانقسامات المذهبية والفكرية والتنظيمية إلى مسلمي أوروبا فتعددت الحركات والجماعات التي تظن كل منها أنها تملك الحقيقة المطلقة، أضف إلى ذلك أن أفكار هذه الحركات والجماعات كانت في حاجة إلى تطوير كبير لتلائم الواقع الجديد. على الرغم من أن أوروبا كانت ملجأ وملاذاً آمناً لكثير من القيادات والحركات الإسلامية التي فرت من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بلادها بحثاً عن الأمن والحرية فمنحتهم بعض دول أوروبا جنسياتهم وأعطتهم الفرصة للحياة هناك. وبعد سبتمبر حدث إعصاراً من الكراهية والضغوط الشديدة ضد مسلمي أوروبا وحدث خلط للأوراق في علاقة الإسلام بالغرب ومسألة الوجود الإسلامي في أوروبا وأمن هذا الخلط مع ظهور أفكار تصادمية ضد الإسلام وصدام الحضارات وصراع الأديان والعدو البديل بعد سقوط الشيوعية. والاعتداءات العنصرية ضد مسلمي أوروبا طالت معظم الدول ففي مجموعة البلاد الاسكندنافية المعروفة بتسامحها وجدنا الحكومة الهولندية تُعلن عن عزمها استحداث تشريعات لتشديد الرقابة على المنظمات الخيرية الإسلامية ودعا بعض الكتاب والمفكرين الهولنديين إلى مراجعة جذرية للوجود الإسلامي في هولندا وإلغاء مدارس اليمين حيث قال الدكتور «باول كليتوز» أستاذ القانون الدولي بجامعة ليدن فكرة التعايش بين الثقافات خصوصاً الثقافة الإسلامية فكرة ساذجة يجب التخلي عنها كما منحت مؤسسة «أسبوع الكاتب» في هولندا أهم جائزة أدبية لها للكاتب المرتد سلمان رشدي عن روايته «الغضب» وفي بلجيكا أقامت عدة مدارس على طرد أبناء المسلمين بحجة تجاوز العدد المسموح به. أما في إيطاليا فشهدت الاعتداء على المسلمين في الشوارع ونزع الحجاب عن النساء، حالة من العداء الرسمي والشعبي ضد المسلمين بدأها رئيس الوزراء بإيطاليا عندما أعلن تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية، لقد ساد شعور بعدم الأمان للمسلمين وأصبح المسلمون يخرجون بشكل جماعي خوفاً من الاعتداء عليهم ونزعت بعض النساء الحجاب حتى لا يتعرضن لأي أذى وتظاهر مجموعة من الإيطاليين خارج المعهد الثقافي الإسلامي بميلانو وطالبوا بطرد الجالية المسلمة من إيطاليا. أما في بريطانيا فقد مارس الإعلام دوراً ضاغطاً على المسلمين عقب أحداث سبتمبر أذاعت برنامجاً عن الإسلام طرح في بدايته أسئلة خبيثة عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلام في محطة الـ B.B.C مثل هل الإسلام عقيدة الشيطان؟ هل العنف جزء من مبادئ الإسلام؟ هل الإسلام يحرض اتباعه على قتل مخالفيهم في العقيدة؟ هل الجهاد في الإسلام معناه قتل الناس؟ وانخفضت أصوات البريطانيين الذين يتحدثون عن التعددية الثقافية باعتبارها إنجازاً بريطانياً وبدأ الحديث عن الموازنة بين هذه التعددية ومسؤوليتها. أما ألمانيا فتعرض المسلمون لمضايقات ومُنعت بعض المؤسسات الخيرية الإسلامية من العمل. في فرنسا تخلت بعض الشركات الفرنسية عن المسلمين وأعلنت شركات أخرى عن حاجتها لموظفين يحملون أسماء وملامح بعيدة عن المسلمين لأسباب تسويقية وكما استمرت الأحزاب السياسية الفرنسية في نهجها في عدم ترشيح أسماء عربية وإسلامية على قوائمها ولم تكن مشاعر الكراهية والعنصرية هي الشيء الوحيد المقلق على مسلمي أوربا لكن كانت هناك عوامل أخرى تبعث على الخوف الشديد أهمها الدور السلبي الذي مارسته بعض القيادات الإسلامية في أوربا مما ساهم في ترسيخ الصورة السلبية في أذهان الأوروبيين.

الحركات الإسلامية وهجمات ١١ سبتمبر:

منذ اللحظات الأولى بادرت أغلب الحركات الإسلامية عبر العالم إلى إدانة الهجمات وينبع هذا الموقف من اعتبارين:

أولاهما: اعتبار أخلاقي يجد جذوره في فلسفة الجهاد في الإسلام، التي ترفض استهداف غير المقاتلين، وتمنع قتل النساء والأطفال، وإتلاف الأموال بغير حق.

والثاني: اعتبار سياسي وهو أن الطريقة التي تم بها الهجوم يعسر تبريرها والدفاع عنها من وجهة نظر سياسية، مهما يكن الموقف الأخلاقي منها، نظراً لأطباق العالم كله على رفضها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلفيات الفكرية والتنظيمية: لكنه لم تنقشع سحب غبار الهجومين حتى تكشف عن تباينات شتى في مواقف هذه الحركات من التفجيرات. و لم يبق الموقف شبه الإجماعي على حاله، بل تكشف عن تباينات عديدة تبعاً لاختلاف الخلفية الفكرية والتنظيمية. فالمعروف أن مسمى الحركات الإسلامية يشمل في الوقت الحالي ثلاث توجهات:

أولاً: الحركات الإسلامية السياسية، والمقصود بها هنا ذات الخلفية الإخوانية. وهذه حركات سلمية تميل إلى العمل من داخل النظام السياسي والاجتماعي السائد، وتسعى إلى دفعه إلى التغير بروح إصلاحية لا ثورية. ويمكن القول أن هذه الحركات اتخذت قرارات استراتيجياً منذ السبعينيات بتفادي الصدام المباشر مع خصومها، واعتماد منهج التدرج والنضال المدني، بالتعاون مع القوى القومية والوطنية المعارضة. لذلك لا عجب أن أطبقت هذه الحركات على إدانة الهجمات لأن هذا الأسلوب لا ينسجم مع رؤيتها ومنهجها في العمل.

ثانياً: الحركات الإسلامية السلفية، وهي تقليدياً ذات منحى تعليمي ارشادي، و لم تكن تهتم بالسياسة كثيراً ولا تحسن ألاعيبها. لكن التطورات الاجتماعية والسياسية في الجزيرة العربية خلال العقد الأخير تكشفت عن مخاض جدي في الحركات السلفية جعلها أكثر تسيساً وأعمق وعياً بالحدث القومي وقد تبنت هذه الحركات ـ بعد تجاوز أيام الصدمة الأولى ـ موقفاً أكثر تفهماً لما حدث ضد أمريكا، دون أن تؤيده بشكل صريح. وربما كان من أسباب ذلك أيضاً موقف تلك الحركات السلفية من الوجود العسكري الأمريكي في الخليج.

ثالثاً: الحركات الجهادية الثورية: وهي سلفية الفكر في الغالب الأعم، لكنه تختلف عن السلفيين التقليديين في موقفهم من الحكام وميلهم إلى الخضوع للأمر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الواقع، وعزوفهم عن السياسة. كما تعتبر أن الحركات السياسية الإخوانية تغالي في التحوط والمحاذرة مما حولها إلى جزء من الواقع، لا بديلاً عنه كما هو المفترض. وتتبنى الحركات الجهادية طريق «ذات الشوكة» في تعاملها مع الحكام ومع القوى الأجنبية الموجودة في المنطقة، وهي في العادة قليلة العدد لا تجد تعاطفاً كبيراً من جماهير الشعب العريضة، نظراً لأن خروجها على الدولة تحول في بعض البلدان إلى خروج على المجتمع، فأضر برسالتها وجاذبيتها، كما أن جهدها الحربي لا تصاحبه مظلة سياسية مناسبة، تسدده وتجني ثمرته. وقد لزمت هذه الحركات الصمت في الأيام الأولى التي تلت الهجمات ـ ربما لصعوبة الدفاع السياسي عنها ـ لكنها عادت وتحمست للهجمات وبررتها، خصوصاً بعد بدء الحرب ضد أفغانستان.

المنظمات الإسلامية الأمريكية والبحث عن دور:

لاحظ اثنان من الباحثين الاستراتيجيين الأمريكيين المهتمين بالعلاقات بين العالم الإسلامي والغرب هما «غراهام فولر»، «يان لسر» أن تركيا تحاول أن تكون جسراً بين العالم الإسلامي والغرب، لكن الغرب يريدها «سداً» بينه وبين العالم الإسلامي. ويبدو إن هذه الإشكالية في الدور المرجو تنطبق أيضاً على المنظمات الإسلامية الأمريكية. ولكن بداية أن ما يوجد في أمريكا ليس «حركات إسلامية» تسعى إلى الوصول إلى السلطة بالمعنى الذي تحدث عنه في العالم الإسلامي بل منظمات إسلامية ذات أهداف محدودة تتفاوت اهتماماتها من النضال في مجال الحقوق المدنية بحثاً عن مساحة للمسلمين في الحياة السياسية الأمريكية إلى الأعمال الخيرية والتربوية التي تهدف إلى الحفاظ على الهوية ومساعدة أخوة العقيدة أينما كانوا. فتباين الموقف الذي ظهر بين المنظمات الإسلامية في أمريكا تجاه الحرب في أفغانستان مرده إلى خلاف في التصور والمنطق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستراتيجي حول دور المسلمين الأمريكيين. فهل سيرضى المسلمون الأمريكيون أن يكونوا مجرد مرشدين للسياسة الأمريكية الحالية في العالم الإسلامي، يدلون الرئيس بوش على اجتناب عبارات مثل «الحرب الصليبية» مثلاً وينصحونه بتعليق الأعمال الحربية في رمضان؟ وهي أمور تخدم الاستراتيجية الأمريكية أكثر مما تقدم المسلمين. أم سيكون دورهم أجدى وأبعد أثاراً من ذلك؟ فيسعون إلى تغيير الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة وجعلها أكثر إنصافاً وعدلاً، وبذلك يفتحون الباب إلى تفاهم بعيد المدى بين الحضارتين ويتحولون إلى «جسر» حقيقي عبر المحيط. وهل المطلوب من المسلمين الأمريكيين هو «إرضاء» أمريكا من خلال تنصلهم من أي أعمال عنف ضدها وأي مقاومة لسياسيتها، مشروعة كانت أو غير مشروعة ثمناً للاعتراف بـ«أمريكيتهم» أم المطلوب منهم هو «إفهام» أمريكا جذور الشر وأسباب العداء لها في العالم الإسلامي ومكامن الخلل في سياستها الخارجية؟ يبدو أن الخيار الاستراتيجي لم يتضح بعد في أذهان المسلمين الأمريكيين الذين لا يزالون يتلمسون دوراً لهم في المجتمع الأمريكي و لم يعرفوا بعد كيف يستغلون الامكانيات الواسعة التي يوفرها لهم. وربما كانت الحرب النفسية التي شنتها عليهم وسائل الإعلام الأمريكية بعد سبتمبر قد أسهمت في حشرهم في موقع دفاعي، ففقدوا المبادرة وروح المبادأة وقد أشار أحد المسلمين الأمريكيين بمرارة إلى أن العديد من الكنائس الأمريكية تتلو صلواتها من أجل ضحايا الحرب من المدنيين الأفغان، لكن المساجد في أمريكا لا تفعل ذلك الآن، وهي مقارنة ذات دلالة في هذا الشأن. لقد قصر المسلمون في إدراك حجم الكارثة، فهل هو مجرد قصر نظر أو عدم مبالاة لقد ركز الإعلام في معظم جوانبه على محاولة إلقاء اللوم على الغير ومحال تبرئة أنفسنا مما حدث، و لم تحدث محاولة للبحث في العميق عن الأسباب التي أدت إلى تنامي ظاهرة العنف الموجه ضد المسلمين، وكذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العنف الموجه ضد غير المسلمين إننا قصرنا في توضيح مشروعية النضال الفلسطيني ضد البطش الإسرائيلي، لم نخرج إلى العالم الأرحب على نحو كاف، لم نتوجه إلى من يعنيهم الأمر بالدرجة الأولى، لم تصل الرسالة إلى الأمريكيين، ولست أعني ساسة أمريكا ولكن الناس بالدرجة الأولى، البيت، المدرسة، المعهد، الجامعة، رسالة تقول بوضوح ليس فيها لبس، إن الإسلام والمسلمين براء من كل ما قيل ونشر، لم يبذل المسلمون جهداً لإرسال الرسالة وتوصيلها، طوال المدة الماضية لم يحدث تحرك عالمي خاصة في أمريكا على كل المستويات وفي كل ولايات أمريكا من طلاب المدارس والجامعات إلى الكونجرس لقد نجح اللوبي الصهيوني بجده واجتهاده خلال الخمسين عاماً الماضية في تحويل أهداف إسرائيل إلى أهداف أمريكية، فتحولت إسرائيل من دويلة مغمورة تردد وزير الخارجية الأمريكي كثيراً في الاعتراف بها عام ١٩٤٨، إلى ما يشبه ولاية أمريكية. فهل سيحاول المسلمون الأمريكيون أن يكونوا جسر تفاهم بين أمريكا والعالم الإسلامي، ويجعلوا مصالح الشعوب الإسلامية أهدافاً أمريكية؟ أم سيجعلوا مطامح أمريكا أهدافاً إسلامية، أي يسبغون الشرعية على خطط أمريكا الاستراتيجية وسياساتها المجحفة بالشعوب الإسلامية؟ إن الوسائل ليست في صالح المسلمين الأمريكيين الآن بالمقارنة مع الإمكانات المالية والإعلامية والسياسية الضخمة التي يملكها اللوبي الصهيوني، لكن الواقع في صالحهم، وهي وقائع ناطقة بذاتها، وسيفهمها الشعب الأمريكي عاجلاً أم آجلاً، إضافة إلى أنها ليس من الممكن تغييرها دون تغير جذري في السياسة الأمريكية في المنطقة. فالأولى بالمسلمين الأمريكيين أن يراهنوا على تغير إيجابي بعيد المدى بدلاً من التكيف المؤقت مع واقع مجحف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دعوات إعادة صياغة الإسلام والفكر الإسلامي:

منذ الحادي عشر من سبتمبر والدعوات تتوالى لإعادة صياغة الإسلام، ظاهر الأمر أنها محاولات لتجديد الإسلام، لإخراجه بثوب عصري يكون أكثر مقبولية عند أتباعه وعند الآخرين، دعوات التجديد لم تنقطع في الإسلام منذ عصره وعهده الأول إلا أنه تبدو مريبة في الآونة الأخيرة، إلا أن الدعوة الأخطر تبدو من سيد الأرض الأكبر ـ كما يبدو في المرحلة الحالية ـ من الولايات المتحدة الأمريكية، فإلى أي مدى هناك إخلاص وهناك نوايا حسنة خلف هذه الدعوات وإلى أي مدى توجد نوايا سيئة وأغراض غير معلنة لدعوات التجديد ودعوات عصرنة الإسلام، خصوصاً في ظل هذه الأزمة التي تعيشها الأمة.

الفرق بين دعوة التجديد الحقيقية والدعوة ذات الهدف السياسي:

لقد من اللّه علينا بالكتاب وفهم الكتاب وتناول الكتاب، وكتابنا من فضل اللّه القرآن الكريم محفوظ لن تعبث به الأيدي و لم ينله التحريف ولا عدت عليه صروف الزمان، كما حصل للكتب الأخرى، إذن ما الذي يحدث تشوهات في الفهم، تشوهات في العقل والألباب التي تتعاطى مع الكتاب، فمطلوب التجديد، الكتاب ثابت لكن أطروحات الفهم قابلة للتجديد الآن المطلوب أمريكياً أن نجدد ديننا على طريقتهم، من طريقة (مارتن لوثر)، طريقة (كالفين)، الذين طرح كل منهم رؤياه الخاصة للدين، وأسقط على الكتاب شخصيته، ثقافته، ذاته، فاختلف الفهم بالكلية، ما من أصل ثبت عندهم، بينما عندنا من فضل اللّه أصل ثابت، إنما يعتري العقول ضباب، يعتري العقول ابتداعات وضلالات، المدد الذي وعد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأن المجددين لا ينقطعون ويبعث اللّه لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد للناس أمر دينهم، بمعنى أنه يسقط ضلالات الابتداع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وضلالات الفهم عن العقل[١].

المفروض بالتجديد أن يعود إلى النبع، إلى الصفاء، إلى الرؤية النقية لهذا الكتاب العظيم، منهج التناول.

ساد بين المسلمين في هذه الأيام منهج الأماني أنهم يتمنون على اللّه الأماني رب العالمين ينسف هذا المنهج من جذوره ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] الكتاب علمنا أن هناك سننية تحكم الوجود، مسلمين أو غير مسلمين سننية صارمة لا تحابي ولا تجامل، هذا الفهم السنني تراخى عند المسلمين، نحتاج أن نجده في العقل، والكتاب ثابت والسنة ثابتة، إذن التجديد أخذ الكتاب بقوة ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، تتراخى القبضات عن أخذ الكتاب فنريد أن تعود القبضات قوية في تناول الكتاب، هذا التجديد الذي نفهمه لكن قطعاً هذا التجديد فيه مصلحتنا، لا يُعقل ولا يتصور أن تكون أمريكا تطرح تجديداً من هذا اللون، إنما تريد تجديد «مدرنه» الإسلام أن يصبح الإسلام «مودرن» على المقاس الأميركي والاعتدال والإصلاح والتجديد بالمقاس الأمريكي، إذن كما لا نتدخل نحن في فهم الأمريكان «بوش وجماعته» لدينهم، ولا نتدخل في فهم اليهود في توراتهم وتلمودهم، لماذا هم يتدخلون في فهمنا لقرآننا؟ وليس عجيباً أن يحاولوا إنما العجب أن يذعن بعضنا لهذا التدخل وكان المفروض أن نقف كالجبل ثابتين، نرفض تدخلهم[٢].

---

(١) أحمد نوفل: دعوات إعادة صياغة الإسلام والفكر الإسلامي.

.http:ssrc.org/sept11/essays

(٢) نفس المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن التطرف الذي يزعمون والإرهاب الذي يزعمون أيضاً نشأ من سوء فهم الإسلام أو نشأ من المظالم الصارخة التي توقعها أمريكا وربيبتها وحليفتها في منطقتنا؟ في مقدراتنا، في مقدساتنا، في حقوقنا، الهضم الصارخ للحق، غرور القوة أعمالهم عن أن يروا الحقيقة، ليس معنى الاعتدال أن نذعن لأطروحاتهم، إنما نريد أن نقول ما نعتقد أنه الحق الذي ولد العنف، نحن من فضل اللّه في قمة دعاة الاعتدال وديننا أول وأعظم من دعا بالاعتدال، لكن ليس بالمقاس الأميركي، ما هو الاعتدال إذن من الذي أنشأ التطرف في العالم الإسلامي، من؟ أزعم أنه أمريكا، ظلمها الصارخ على المسلمين، نهبها لثروات المسلمين، مصادرتها لمستقبل المسلمين، دعمها لكل ظلم في أرض المسلمين، فكل ما فيه ظلم واقع على المسلمين تجد خلفه بصورة مباشرة أو غير مباشرة أمريكا بمعنى أن تدعم سراً أو جهراً الهند على الباكستان أن يباد آلاف من الشعب الأفغاني، أن تعمى عيون أمريكا عن رؤية ما يجري لإخواننا في فلسطين مذابح، دبابات تهرس البشر ولا ترى[١].

تأثير هذه الدعوات على الإسلام:

إن الخطر الشديد الذي يمكن أن نخشاه وأن نحذر منه، أن نقبل بعدونا، ويتوحد شبابنا مع العدو المتفوق «كما يقول علماء النفس» فالمسلمون يمرون في فترة غفلة. في فترة النسيان لذواتهم. في فترة اغتراب عن ذويهم، لكن هذا الاغتراب لن يطول إلى آخر الزمان، لكن الذي يصيبه الوهن والضعف هو الأمة، في تراخي قبضتها على هذا الدين، في تراخي استمساكها بهذا الدين، عندما تتراخى النفوس عن متابعة هذا الدين يبدأ الوهن ويبدأ الضعف وتبدأ الانكسارات تتوالى على الأمة إلى أن تعود إلى رشدها.

---

(١) نفس المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الهجمة الشديدة التي تستهدفنا وجوداً وأصولاً وثوابت، سوف تقوى المقاومة لدينا، ستنبه روح الصمود عندنا، إننا ندعو إلى التعايش بالفعل، وندعو إلى تعاون الثقافات لكن ما يدعو له الأمريكان من ثقافة ومن تعايش ومن عولمة، إنما هو سيادة الرأسمالية الغربية، وسيادة الثقافة الغربية، وليس. أن ينفتح العالم على بعضه، والثقافات على بعضها باختصار هذا الدين إن استفزت الأمة في قواها الحية والفاعلة، النصر لها إن استيقظت الأمة واستمسكت بدينها، النصر لها، إن الأمة في انحدارها الفكري والسياسي والمادي والعسكري سوف تنهض بإذن اللّه، لأنه لم يقم الإسلام بحرب مع المعتدي إلا كان أقل منه عدداً وعدة، وكان النصر حليفه ـ بإذن اللّه ـ دائماً[1].

لقد تصهينت المسيحية، حيث يتجه حكامهم يميناً بتطرف شديد وتتكون الإدارة الأميركية الآن من صقور اليمين شديد التطرف، مثل اشكر وفت، تشيني، رامسفيلد، كوندوليزا رايس كل هؤلاء من رموز التشدد، وهم يعتقدون بأنه لابد من حرب عالمية ثالثة ضد أعداء الرب، وأنه لن ينزل المسيح إلا إذا هدم الأقصى وأقيم الهيكل، إن اللوبي اليمين يرسخ لسياسة أمريكا ضد الإسلام والمسلمين وأن الصديقة التي تستحق الدعم هي إسرائيل تساعد في القضاء على الشر في الشرق الأوسط حتى تتحقق الأحلام الصهيونية، هذه عقيدة تمسنا في الصميم علينا إذاً أن نطرد كل عوامل الضعف وأن نستعد لكل ما ينتظرنا من عدوان من هؤلاء نتيجة هذه العقائد التي يحملونها، ليست مشكلتنا أن تتدين أمريكا، وليست مشكلتنا في أن يتدين هؤلاء أو لا يتدينون، إنما مشكلتنا أنهم يعتقدون إننا أعداء الرب، وإننا كفرة بالرب، وإننا نحارب الرب تبارك وتعالى، إذا كان من يوحد الرب يحارب

---

(١) أحمد نوفل: مرجع سابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرب فهذه عجائب، بينما إسرائيل التي زعمت أنها صلبت مسيحهم يحبونها ويدافعون عنها باستماتة، ففي الوقت الذي تتجه فيه أمريكا إلى أقصى التطرف تطالبنا هي بالاعتدال، وفي الوقت الذي تتجه فيه إسرائيل أيضاً إلى أقصى التطرف يطالبوننا كذلك بالاعتدال، نحن ندعو للاعتدال، لكن بطريقتنا، وهذا جزء من المرجعية في الفهم «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولن يشاد الدين أحداً إلا غلبه» «هذه حقائق ثابتة»[1].

لا شك بأن التحرك الأمريكي السابق، والأهداف التي رسمتها يعتبر من أكبر التحديات وأخطرها على أمتنا في تاريخها كله، وهذا يستدعي أعلى درجات المقاومة الواعية من قيادات أمتنا ومفكريها ودعاتها وجماعاتها وأحزابها لإفشال مخطط التغريب الثاني، كما أفشلت الأول خلال القرن العشرين، لذلك يجب البناء على الايجابيات التي حصلتها أمتنا خلال الصراع مع دعاة التغريب، ومعالجة السلبيات وعوامل الضعف في كيان الأمة، لذلك يجب التفكير الجدي والعميق بكل الوسائل التي تحتم انتصار أمتنا في المعركة القادمة فما هي هذه الوسائل وكيف نواجه ما نحن فيه؟

الاقتراحات عديدة والتوصيات لا حصر لها والأبحاث تزداد يوماً بعد يوم تبحث في الخروج من الأزمة ومن الباحثين من ينتهي إلى من يشبه الوصايا ومنهم من ينتهي إلى تقارير يائسة ومنهم من يطلب التمسك بتراثنا القديم ونبذ الجديد أملاً في استعادة الأمة لقوتها ومنهم من يرفضه.. الخ، فالعقلية الإسلامية مشوشة ومضطربة مما يحاك حولها من مؤامرات وكراهية في الخارج وأنظمة سياسية لا تحقق «على أحسن تقدير» الحد الأدنى من مطالب شعوبها وغير قادرة على إدارة الأزمة

---

(١) أحمد نوفل: مرجع سابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالعقلية السياسية المطلوبة لهذا العصر، فالمجتمعات الإسلامية واقعة بين مطرقة الحكومات والتبعية وسندان المؤامرات والكراهية ومن الاقتراحات التي طرحت:

(١) وضع أفراد الأمة في إطار[1]:

من الواضح أن جانباً كبيراً من عدم فاعلية جماهير المسلمين في التصدي لأعداء الأمة في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من الأماكن يعود إلى عدم وجود أطر جماعية توحد طاقة هؤلاء المسلمين، وتنظم جهودهم، وتستوعب استعدادهم للبذل والتضحية، وتعرفهم بأوليائهم وأعدائهم، وترشدهم في كل خطوات الطريق.. الخ ولو تفحصنا الأسباب التي أدت إلى غياب هذا «التأطير» الجماعي لأفراد المسلمين، وإلى ضعف هذا الجانب الجماعي في حياتهم، لوجدنا أن أبرزها (في رأي بعض الباحثين) يعود إلى الاختلاف الفقهي في حكم الانتماء إلى جماعة، من وجهة نظرهم أن بعض الفقهاء المعاصرين يحرمه، وبعضهم يبيحه بحسب الأحوال، وبعضهم يوجبه، وجاء الاضطراب من إسقاط الأحكام المترتبة على تحريم الخروج على جماعة المسلمين في حال وجود خليفة المسلمين وإمامهم على وقتنا الحاضر حيث سقطت الخلافة، مع أن الحكم الشرعي الأرجح هو وجوب الانتماء إلى جماعة شرعية وبخاصة في هذه الظروف الصعبة المحيطة بالمسلم والمملوءة بالمحن والفتن من كل نوع، لذلك لا بد من إشاعة هذا المناخ الفقهي الذي يوجب العمل الجماعي على كل مسلم من أجل الانتقال بالمسلم من الفردية إلى الجماعية، خصوصاً إذا لاحظنا القاعدة الشرعية التي تقول من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، أي ليس على طريقتهم، حيث لا تستطيع الأمة مواجهة أعدائها، ولا حل لمشاكلها، ولا بناء لمستقبلها إلا من خلال بناء جماعي عريض

---

(١) إبراهيم حلمي: المخطط الثاني للتغريب وكيفية مواجهته.
http://www.ayna.com/articles

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستوعب معظم أفراد الأمة إن لم يكن كلهم وعلى العكس مما يقوله المحرمون فإن تفكك الدولة الإسلامية إلى عدة دول ودويلات بعد أن كانت خاضعة لراية واحدة ممثلة في الخليفة أو الإمام أو رئيس الدولة العثمانية يستدعي عمل الرد في الإطار الجماعي الذي يكون في إمكانه، سواء أكان هذا العمل الجماعي داخل دولته التي ينتمي إليها الآن أو في إطار عام مشترك بينه وبين من يحملون هم الأمة كلها، فلا يمنع تفكك دولة الخلافة الانتماء الجماعي والعمل في إطاره، ويحضرني هنا ما ذكرته إحدى المهاجرات العرب وهي من مواليد أمريكا فتذكر أنها عند سفرها إلى أي بلد عربي تشعر أن لها جذوراً فيه ولكن تعود فتقول إن «موطني ديني» ففي الغرب مشكلة ليست في موطنك ولكن المشكلة في دينك وظهر هذا جلياً بعد سبتمبر حيث ينظر للمرأة المحجبة مثلاً نظرة الخوف وكأنها ستقتل أو تفجر نفسها(١).

(٢) الانحياز إلى الأمة وثوابتها:

لا شك بأن المعركة القادمة مع دعاة التغريب ستكون من أخطر المعارك في حياة الأمة، لأنها تستهدف وجودها وشخصيتها وهويتها من جهة، ولأنها تأتي والعدو في أقوى حالاته وأمتنا في أضعف حالاتها من جهة ثانية، لذلك يجب رفع سقف الواجب المطلوب من أبناء الأمة نحو أمتهم، لذلك يجب أن يصبح المطلوب منهم الانحياز إلى الأمة وثوابتها، وأبرز هذه الثوابت القرآن الكريم والسنة المشرفة، واللغة العربية، والوقوف إلى جانب حقنا المشروع في فلسطين من البحر إلى النهر، والإقرار بعداوة إسرائيل وأمريكا لهذه الأمة، واعتبار أي احتلال لأرض عربية كارثة الخ فلم يعد مقبولاً من أحد أن يدعي الانتماء إلى هذه الأمة فرداً أو

(١) إبراهيم حلمي: المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جماعة أو حزباً، وينكر ثابتاً من الثوابت السابقة، أو يشكك فيه، أو يوالي عدواً للأمة، أو يتعاون معه، أو يستهزئ بالمقاومة والاستشهاد، أو يستبشر بالاحتلال. الخ إن معركة الأمة الإسلامية مع أمريكا ودعاة التغريب لن تكون سياسية فحسب بل هي سياسية وشرعية، فالعدو لا يستهدف بترول المنطقة واقتصادها وخيراتها فحسب بل يستهدف أيضاً دينها وعقيدتها ونموذجها الحضاري. الخ لذلك فالمطلوب من أبناء الأمة إن يربطوا بين الوقف السياسي والموقف الشرعي في الدفاع عن الأمة[1].

(٣) الحرص على الوضوح والدقة الشرعيين:

يزعم دعاة التغريب ـ الآن ـ أنهم لا يريدون استئصال الإسلام من حياة المجتمع كما فعل الشيوعيين في الستينات، ويزايدون على أبناء الأمة في حرصهم على الإسلام، ويدعون أنهم يريدون إنقاذ الإسلام من أيدي علمائه التقليديين الذين أساءوا فهمه، لذلك لن تكون معركتنا القادمة مع دعاة الترغيب حول الاعتراف بالإسلام، ولكن ستكون حول تأويلهم لنصوص الإسلام، فهم امتلكوا رصيداً كبيراً من التأويلات خلال القرن الماضي، شملت معظم أحكام الإسلام في مجال العقيدة والمرأة والحدود والميراث الخ، كما امتلكوا قائمة كبيرة من المؤولين خلال القرن الماضي ومنهم: محمد شحرور، محمد سعيد العشماوي، محمد أركون، حسين أحمد أمين، نصر حامد أبو زيد ونوال السعداوي، وعبد المعطي حجازي. فمن التأويلات التي زعمها المؤولون السابقون بأن الإسلام لم ينصف المرأة في مجال الميراث، وتعدد الزوجات. الخ لذلك يجب تغيير هذه التشريعات فنجعل نصيب المرأة مساوياً لنصيب الرجل في الميراث، وتعاقب بالحبس من

(١) إبراهيم حلمي: المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتزوج بأكثر من واحدة، ومن التأويلات التي دعوا إليها في مجال العقيدة بأن نفهم النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة على ضوء ثقافة العصر، وسيفتح هذا الفهم باباً لشرور عظيمة في مجال العقيدة لا مجال للتفصيل فيه الآن، ومن الأمور التي دعوا إليها عدم إعمال أحكام الحدود لأن فيها في رأيهم قسوة ووحشية وكانت انعكاساً للبيئة الجاهلية، وزعموا بأنه ليس هناك نظام سياسي في الإسلام لذلك يمكن أن نقبل بأي نظام سياسي من الأنظمة المعاصرة. الخ لذلك سيكون على العلماء والفقهاء الحرص على توضيح أحكام الشريعة في كل مجال، والوقوف عندها بشكل دقيق، من أجل نجاة الأمة من فتنة التأويلات والمؤولين، لأن المهم عند هؤلاء المؤولين زحزحة الأمة عن بعض أحكام الإسلام في البداية من أجل استكمال إزاحة الإسلام بشكل كامل في مرحلة ثانية[1].

(٤) ضرورة وقوف الخطاب الإسلامي على مختلف الجوانب التي يركز عليها الخطاب الصهيوني، ودحض شبهات هذا الخطاب بشكل غير مباشرة وبأسلوب سهل مبسط وبأسانيد منطقية وعقلية ومن خلال خطة علمية لا يبخل عليها بالأموال والإمكانات وإبراز قبول الإسلام لكل الديانات السابقة وإبراز الإيمان بكل الأنبياء والقيم العليا للإسلام وقبوله لكل الحضارات، وتنمية الوعي بتراثنا الثقافي الإسلامي وإعادة إنتاجه مرة أخرى في ضوء تطورات العصر وما يتسم به من تلاحق المعلومات وتدفقها، مع الوعي الكامل بالمتغيرات من حولنا والحذر والانتباه للأباطيل، والافتراءات التي يروج لها أعداء الإسلام وفي هذا تأكيد على أهمية التواصل بين مثقفي الشرق والغرب، وجدوى الحوار في تأكيد التفاعل والتكامل[2].

---

(١) إبراهيم حلمي: المرجع السابق.

(٢) لطيفة إبراهيم خضر: الإسلام في الفكر الغربي، عالم الكتب ط١، ٢٠٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٥) يجب ألا يتصدى للخطاب الإسلامي إلا المؤهلون لذلك شرعياً واجتماعياً ونفسياً ولغوياً، ولعل هذا يتطلب إعادة صياغة مناهج كليات الدعوة في العالم الإسلامي، للتمكين من اللغات الأجنبية والفهم العلمي والاجتماعي للمجتمعات وسيكولوجية متلقي الدعوة، كما يجب التنسيق بين المشتغلين بالخطاب الإسلامي الموجه للدول غير الإسلامية ورسم استراتيجية إعلامية متفق عليها بين كل الدول الإسلامية حتى لا يتناقض الخطاب الموجه للدول الأجنبية(١).

(٦) من الباحثين من يتوجه إلى مثقفي الأمة الإسلامية يؤكدون في توجهاتهم على أن الكفاح المطلوب والجهاد الحقيقي «في وقتنا هذا وفي ظل تخلف الدول الإسلامية اقتصادياً وتكنولوجياً» هو تنمية المجتمعات الإسلامية اقتصادياً واجتماعياً وتكنولوجياً وخلق مجتمع متمدن، هذا هو معنى «الجهاد» حيث أن عالم اليوم تحركه المصالح الاقتصادية وبالتالي يحركه دافع أساسي يسمى «النمو والتنمية» وإن القوى هي ما تنتجه الشعوب والعقول من ثقافة وتكنولوجيا، والقدرة على التفوق الإنتاجي النابع من التفوق العلمي والمنتهي إلى الإبداع في البحث العلمي وتراكم الخبرات وغزو الأسواق بسلع مجودة، وإن «الجهاد» سيكون عديم الفائدة ما لم يقربنا من التقدم والحرية في النهاية.

إن القصور في الخطاب الديني لا يعني قصوراً في الدين، فهناك فرق بين الدين كوحي رباني يشكل نظاماً لحياة متكاملة خالدة وبين إخفاق المسلمين في ترجمة هذا النظام إلى واقع حضاري.

بيد إنه لا بد من الاعتراف بأن الخطاب الديني قد ترنح أمام تحديات اجتماعية سياسية كبرى توالت عليه منذ أواسط الخلافة الراشدة عندما اختلطت الثقافات الفارسية والرومية بعد الفتوحات الإسلامية، ودخلت على المجتمع العربي

---

(١) المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنماط حياة وفكر لم تكن معهودة في عصر النبوة المؤيد بالوحي مباشرة، ولا في عصر أبي بكر الصديق ولا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما الذي ظهرت في أواخر عهده على الساحة تحديدات اقتضت منه مرونة فورية وشجاعة خاصة في التعامل مع النص المحكم باتخاذ الموقف على ضوء مرونة وسعة الدين وخاصيته التي تؤهله ديناً عالمياً إلى الأبد(١).

ومنذ ذلك الحين والهوة بين النظرية والممارسة في الخطاب الديني تزداد حتى بلغت أوجها في نهاية العصر العباسي، عندما انقسم قادة المجتمع إلى ثلاث فئات، أولها فئة المترفين الباذخين من الخلفاء وندمائهم، تليها فئة المنعزلين المنغلقين على أنفسهم متمسكين بالنص بعيداً عن صخب الحياة، ثم فئة الصوفيين الذين وجدوا في الروحانيات والخيال ما يروي وهمهم بشيء من الحق، وليس يخفي أن هناك من يتهم المؤسسات الدينية الكبرى في الخليج ومصر والشام لم تنتقل بعد من سطوة القرار السياسي البراجماتي البحت، فهي في رأي هؤلاء بالكاد تتعايش معه وفق اجتهاد مرجوح لا يفي بالحد الأدنى من تطلعات الشارع الإسلامي الذي وجد نفسه ميالاً أكثر مع كل عالم أو مفكر يخرج عن المألوف ويطرح طرحاً يلامس احتياجات الناس ويواسي آمالهم(٢).

وعلى كل حال فإن من حسن طالع التيار الديني إنه لا يمكن تهميشه سواء كان خطابه قاصراً أو مقصراً أو كافياً وافياً، فالدين في عالمنا العربي والإسلامي، بالرغم من كل ما يقال عنه، قد تجذر في الحياة والفكر وتموضع جينياً في دماء الشعوب الإسلامية لدرجة أن السياسي غير المتدين إذا تمكن من السلطة وجد نفسه

---

(١) محسن العواجي: تجديد الخطاب الديني بين مطرقة الأتباع وسندات الخصوم.
http://waikato.ac.nz/library/resources/ejournal

(٢) محسن العواجي: نفس المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مضطراً للبس العباءة الدينية صادقاً أو متملقاً، ولا أدل على ذلك من إن إدارة بوش نفسها ـ غير المسلمة طبعاً ـ تتمسح ببعض جوانب الدين الإسلامي المتسامح إقراراً منها بوقته ووجوده الذي لا يزاحم، رغم تفوقها العلمي والتكنولوجي. ورغم تبني الإدارة الأمريكية «عقيدة الحرب الوقائية» وتبني بوش معها عقيدة بعض غلاة المسيحيين الصهيونيين المتطرفين في حتمية مواجهة «الشر الإسلامي» مولد التطرف والإرهاب بالقوة العسكرية وقهرهم ووقوع أمريكا فيما يسمى «الهوس الديني» أو الخوف الديني المرضي إسلاموفوبيا Islamophobia، وفي أثناء تبني بوش لذلك «تدمير محور الشر» نجده يركز على رسالة أمريكا «السماوية» في هداية العرب والمسلمين إلى الديمقراطية التي توصلهم إلى السواء[1].

وستبقى أسئلة جوهرية كبرى تحتاج إلى شجاعة للبت فيها، بعيداً عن الجمود الفكري وأحادية الرأي، وعلى رأسها تحديد علاقاتنا ومصالحنا مع الحضارات والأمم الأخرى بعد سيادة العولمة الاقتصادية والانفجار السكاني والمجاعات على كوكبنا، وتقديم خطاب مقبول عالمياً يوضح بجلاء طريقة تعايش المسلمين مع خصومهم المتفوقين عليهم تكنولوجياً واقتصادياً، وبالطبع تأتي في مقدمة تلك الأمم الولايات المتحدة الأمريكية.

هذه بعض الوسائل التي تقوي موقف الأمة في مواجهة إعادة الترغيب، فهل ستنتهي معركة الترغيب في القرن الحادي والعشرين كما انتهت معركة الترغيب في القرن العشرين بانتصار أمتنا الإسلامية؟ هذا ما نتطلع إليه ونأمله ونرجوه من الله تعالى[2].

---

(١) محسن العواجي: نفس المرجع السابق.

(٢) محسن العواجي: نفس المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاتمة البحث:

أو أن أختم بحثي هذا وعلى غير المتبع في الأبحاث العلمية بما أثير من تساؤلات وبالطبع لم نصل لإجابات لها ولكن سنعرضها فقد توجه الأنظار إلى أسلوب الغرب وسياسته التي يغلب عليها الكراهية والمؤامرة للإسلام والمسلمين.

هل أحداث ١١ سبتمبر كانت بداية لحقبة زمنية جديدة في العالم أم أنها حلقة في سلسلة من وقائع جديدة تعيشها بلدان العالم بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة؟

هل صدفة أن يتزامن حكم الرئيس بوش مع أحداث سبتمبر وما تبعها من تداعيات وأن يتزامن حكم الرئيس السابق جورج بوش (الأب) أيضاً مع حادث كبير انغمست فيه أمريكا بشكل مباشر ألا وهو غزو الكويت عام ١٩٩٠؟ ففي صدمة غزو الكويت كان السؤال البارز كيف يحشد النظام العراقي جيشه ولا تعلم المخابرات الأمريكية بذلك ولا تحرك ساكناً؟

تساؤلات عديدة طرحها أعضاء الكونجرس بعد أحداث سبتمبر تجمدت بفعل الإنذارات الأمريكية عن حدوث أعمال إرهابية ضخمة في أمريكا.

إن غزو الكويت عام ١٩٩٠ كانت بداية لحملة على الهوية العربية وأحداث سبتمبر كانت بداية لحملة على الهوية الإسلامية وإذا بحصيلة الصدمتين المعاصرتين لـ (آل بوش محاولات للانقضاض) على العروبة والهوية الإسلامية معاً وسعى لهيمنة عسكرية كاملة على المنطقة العربية وعلى مختلف بلدان العالم الإسلامي. ترى لو لم تكن هناك جهات محلية تتحرك بأسماء عربية أو إسلامية هل كان ممكناً حدوث مثل هذه الصدمات؟

هل كان لظاهرة (جماعة القاعدة) أن تظهر إلى الوجود في حين أن مؤسسها والعديد من عناصرها كانوا أصلاً على صلة وثيقة بالسياسة الأمريكية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طوال سنوات حرب المجاهدين الأفغان ضد النظام الشيوعي والقوات السوفيتية في أفغانستان؟

هذه أسئلة مهمة لأن المخطط (المهندس الأمريكي) استخدم ويستخدم ما يخدم خططه أو (مقاولين) عرب ومسلمين في إعداده لبناء شرق أوسطي جديد بل لبناء نظام عالمي جديد تحدث عنه جورج بوش الأب إلا أن الانتخابات الأمريكية عام ١٩٩٢ لم تكتب له فرصة الاستمرار بالحكم لولاية أخرى والعمل على تثبيت بنيانه هذا البناء الذي أعده مجموعة من (خبراء) الحزب الجمهوري والبنتاجون والمخابرات الأمريكية (التي كان جورج بوش الأب رئيساً لوكالتها قبل أن يختاره الرئيس ريجان نائباً له) لقد سقط المعسكر الشيوعي وانتهت الحرب الباردة حصيلة ضغوطات وسياسات اشترك في وضعها عدد كبير من هؤلاء (الخبراء) الذين رافقوا فترة حكم ريجان ــ بوش لثماني سنوات من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨ ثم فترة بوش الأب من ١٩٨٨ إلى ١٩٩٢. وفي الحقبة (ريجان ــ بوش) حدثت الحرب العراقية الإيرانية وثورة المجاهدين الأفغان واجتياح إسرائيل للبنان وسقوط الاتحاد السوفيتي وما برز منها من ضغوطات اقتصادية وسباق تسلح وتعزيز دور المصانع العسكرية الأمريكية وشركات النفط الأمريكية ثم بدأ التساؤل من هؤلاء المخططين عن الصورة الأمريكية المطلوبة للعالم الجديد وكان من الطبيعي أيضاً البحث عن عدو جديد يضمن استمرار تدفق صناعة الأسلحة ويسمح بانتشار الاستمرار العسكري الأمريكي في العالم للسيطرة على مواقع الثروات الطبيعية وفي مقدمتها النفط، وكان من الضروري إبقاء الغرب الأوروبي تحت المظلة الأمريكية وإضافة باقي دول أوربا إلى هذه المظلة، وهكذا أصبح حلف الناتو حلفاً أمريكياً ـ أوربياً ضد عدو مجهول أو ربما قيد الإعداد الأمريكي، لقد حدث تحولات في مطلع التسعينات لأوربا انعكست على المنطقة العربية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فحدث انتشار في تشيكوسلوفاكيا وصراعات دموية في يوغوسلافيا وجرى في عموم أوربا الشرقية تغير اقتصادي وسياسي وأمني بل وثقافي أحياناً في ظل رعاية أمريكية لكل هذه التغيرات وكان من المؤمل أمريكياً أن تنسحب هذه المتغيرات الأوربية على المنطقة العربية أيضاً، وعلى جوارها الإقليمي في آسيا وأفريقيا، أي تغييرات أمنية وسياسية واقتصادية وثقافية، وربما في أنظمة الحكم أيضاً.

كانت إدارة بوش الأب حريصة على إنهاء ملف الصراع العربي الإسرائيلي من خلال توظيف نتائج غزو الكويت وتفاعلاته السلبية العربية لكن المخططات تعثرت وخرجت مجموعة (الخبراء) من البيت الأبيض بعد حكم ١٢ عام، ودخل البيت الأبيض من لا يحمل الرؤية نفسها فكانت فترة كلينتون (٨ سنوات) حال تعامل بالاضطرار مع أوضاع عالمية أكثر منها مبادرات تخدم رؤية محددة وكانت في إطار معالجة الأزمات الدولية، كانت سمة حكم الرئيس كلينتون هي ردة الفعل تجاه الأحداث أكثر من صنعها للأحداث نفسها.

وهكذا بقي الملف العراقي جامداً وكذلك ملف الصراع العربي الإسرائيلي.

ثم جاءت أحداث سبتمبر لتنقل إدارة بوش من حالة مشكوك بشرعيتها وبشعبيتها الأمريكية إلى حالة التضامن الكامل الأمريكي الكامل معها ومع سياستها الراهنة في الحرب ضد الإرهاب وفتحت الأبواب كلها أمام الرؤية الأمريكية التي وضعتها (مجموعة الخبراء) وهي الرؤية التي تتضمن إحداث متغيرات في الشرق الأوسط وفي جواره الأسيوي والأفريقي بشكل مشابه لمتغيرات أوروبا الشرقية.

هل حاول الغرب إيجاد عدو جديد بعد سقوط المنظومة الاشتراكية فوجده في الإسلام في أوربا الشرقية بدعوى تهديد الهوية الأوربية وعدم السماح بقيام دولة إسلامية في أوربا ويكفيه تركيا في جناحها الأوربي أستانبول وريثة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القسطنطينية والإسلام ما زال يقاوم في إيران الثورة وفي أوروبا وفي الجمهوريات الإسلامية المستقلة في أواسط آسيا وفي النهضة الصناعية لماليزيا وأندونسيا فتحول الإسلام إلى عدو متوهم بديل عن الشيوعية حيث الإسلام هو الهوية الوطنية والباعث على التقدم. فالإسلام هو الإرهاب والعنف والتخلف والقهر والسفه والخرافة وعدم الاعتراف بالآخر والعدوان والتكفير وتقسيم العالم إلى دار إسلام ودار حرب دار إيمان ودار كفر والجهاد قمة هذا العدوان والاستشهاد أداته كلها صور مشوهة. فالإسلام دين التحرر من القهر والعدوان والعنف ما هو إلا نوع من المقاومة المشروعة للاحتلال والظلم بعد سد كل السبل (القرارات الدولية والشرعية الدولية) ودار الإسلام ودار الحرب هي بلغة العصر التقابل بين العدل والظلم، الاستعمار والتحرر فالجهاد للدفاع وليس للهجوم والاستشهاد وتفضيل الحياة الكريمة على حياة الظلم الحياة الأبدية على حياة الخنوع، وفي كل حضارة شهداؤها من المقاومة ضد العدوان وحركات التحرر الوطني حركات مشروعة لمقاومة الاحتلال.

سيظل التوتر بين الإسلام والغرب قائماً ما دام هناك إحساس بالظلم والإحباط عند المسلمين وبالتفوق والعظمة في الغرب.

❁ ❁ ❁

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مراجع البحث:

١ـ محمود يوسف: بحوث الصورة الذهنية للمسلمين الإعلام الغربي ـ الإعلام، جامعة القاهرة، العدد ١٢ ـ ص ص ٢٠٦ـ٢٠٧.

٢ـ حسن حنفي: ١١ سبتمبر في الذكرى الأولى، صراع قوى أم صراع رؤى، جريدة الزمان العدد ١٣٠٧ في ٩/٩/٢٠٠٢.

٣ـ حسن حنفي: الإسلام والغرب، في التقاء الحضارات في عالم متغير حوار أم صراع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣.

٤ـ صبحي غندور: ١١ سبتمبر بداية حقبة أم حلقة في سلسلة؟

alhewar@alhewar.com

٥ـ تجدد الخطاب الديني بين مطرقة الاتباع وسندان الخصوم

Ibrahim Kharaiba. www. Alshabab. net/case nalysis 2003/11/1.

٦ـ Mohessen El Awagy:

http:// ssrc/prg/sebt11/essaus

٩ـ لطيفة إبراهيم خضر: الإسلام في الفكر الغربي، عالم الكتب، ط١ـ٢٠٠٢.

١٠ـ سهير عبد العزيز يوسف: الإسلام والحوار الحضاري، أين نحن اليوم في عالم متغير، المؤتمر السنوي ـ كلية الشريعة والقانون، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، مايو ٢٠٠٢.

١١ـ محمد بن المختار الشنقيطي: الحركات الإسلامية وهجمات ١١ سبتمبر خلافات وخلفيات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com